ALMAKRIFAH, Vol.14 (1) APRIL 2017, 13 - 21.
Available online at htttp://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba
doi.org/10.21009/ALMAKRIFAH.14.01.02

E-ISSN : 2597-8551
P-ISSN : 1693-5764
JURNAL BUDAYA, BAHASA DAN SASTRA ARAB
AL-MA'RIFAH

أشهر المصطلحات ذات العلاقة بتعليم اللغة العربية (النظريات في اكتساب اللغة وتعلمها)

ستي بدرية أنديني (إندونيسيا)
طالبة الماجستير من معهد الخرطوم جمهورية السودان
البريد الإيليكتروني : mbad.ndin84@gmail.com

التجريد

هذا البحث يهدف إلى معرفة أشهر المصطلحات ذات العلاقة بتعليم اللغة العربية (النظريات في اكتساب اللغة وتعلمها)، ونوعه بحث وصفي مكتبي

تعددت النظريات التي استنتجها العديد من علماء اللغة وحتى علماء النفس من تجاربهم المتنوعة منذ حقب بعيدة. وكل نظرية تتميز بميزاتها الخصة بها، وذلك سعيا إلى تيسير معلمي اللغة –خاصة معلمي لغة كاللغة الثانية- لإعداد الجو الصفي الذي يناسب المتعلمين وأيضا تيسير المتعلمين للاستلهام من هذه النظرية في اكتساب وتطوير لغتهم. فليس هناك التردد في القول أن هذه النظريات أمر لابد للراغبين في تعلم اللغة معرفتها بشكل جيد،كي تحقق ما تتمناه من دراسة اللغة.

الكلمة المفتاحية: المصطلحات ذات العلاقة، تعليم اللغة العربية، اكتساب اللغة وتعلمها

أ. المقدمة

لا شك أن نقول أن الحديث عن اللغة وتعلمها وتعليمها أمر لا نهاية له، خاصة في عصرنا الحاضر. أخذ الناس في العالم في الآونة الأخيرة يهتم بدراسة اللغة لأغراض متنوعة. لهذا السبب ظهر العديد من برامج تعليم اللغة بما فيها تعليم اللغة العربية. فمصطلح تعليم اللغة العربية هو مصطلح واسع يتطلب من الراغبين في تعلمها ومعلميها خاصة أن يتعرف على المصطلحات المتعلقة بتعليم اللغة العربية حتى يصل إلى الأغراض المستهدفة من تعلمها. ومن المصطلحات ذات العلاقة بتعليم اللغة العربية هي النظريات في اكتساب اللغة وتعلمها. تتنوع هذه النظريات بتنوع علاقاتها مع الساحة العلمية المختلفة كالساحة العلمية اللغوية والساحة العلمية النفسية. فما هي أبرز وأشهر هذه النظريات وتاريخها ومن هو رائد هذه النظريات؟. لنسلط الضوء في هذا المقال حول هذه الأشياء.

ب. النظرية السلوكية

١. نشأتها

تنبني النظرية السلوكية للمعرفة على النظرية التجرباتية التي تزعم أن جميع أنواع المعرفة مصدرها الحس، وتنبني على المناهج التي تنتمي إلى علم النفسي التقليدي. ثم قام السلوكيون في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين بالثورة رفضا على هذا العلم النفسي القديم، ومن أعلامهم العالم الروسي إيفان بافلوف ، يرى هؤلاء السلوكيون – كما كتبه د. وجيه المورسي في مقالته- أن السلوك بما فيها السلوك اللغوي هو ارتباط بين مثير (S) واستجابة(R) . وهذه الرؤية استنتجت من تجربة مشهورة قام بها بافلوف على الكلب. بدأ بافلوف تجربته بالربط بين المثير الحقيقي وهو الطعام والمثير الثانوي وهو إضاءة مصباح كهربائي (أو قرع الجرس في التجارب الأولى)، بحيث يسيل لعاب الحيوان بمجردة إضاءة المصباح حتى لو لم يقدم له الأكل بعد ذلك. ويسمى فرع المدرسة السلوكية هذا بمدرسة التدريب التقليدي classical conditioning وتبين هذه التجربة أن الكلب قد تعلم الصلة بين إضاءة المصباح والحصول على الطعام بصرف النظر عن وجود المثير الأصلي –وهو الطعام- أو غيابه.

وفي مطلع القرن العشرين حاول سكينر أن يطور ويعزز نظرية SR و طبق ما طبقه بافلوف من التجربة إلى حيوانات عدة ومتنوعة كالفأران والحمام تأكيدا بما رأى بافلوف في السلوك. قال د. هاجر الملاحي في مقالته نظرية اكتساب اللغة وتعلمها "إن سكينر طبق تجربة بافلوف إلى أنواع من الحيوانات ليؤكد أن السلوك مكتسب، وعبارة عن مثير واستجابة، ليطور النظرية الأول، وتظهر نظرية التعلم الشرطي الإجرائي".

٢. اتجاهاتها

بناء على معطيات هذه النظرية ومسلماتها التي استنتجت أساسا من السلوك الآلي لدي الحيوان، فإن السلوكيين يرى أن اللغة شكل من أشكال السلوك، ومظهر من مظاهره، وأن اكتسابه لا يختلف عن اكتساب أي مهارة سلوكية أخرى، وبخاصة لدي الطفل في اكتساب لغته الأم.

فاكتساب الطفل لغته يقوم على تكوين عادات، ويعتمد على التعزيز الإجابي الذي يتلقاه من والديه أو من معلميه أو من غيرهم من المحيطين به، كلما نطق نطقا سليما. كما يعتمد على التعزيز السلبي، الذي يتلقاه من هؤلاء عن طريق العقاب المباشر، أو غير المباشر، في استعباد الإجابات الخطيئة. (عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي : ١٤٢٠هـ)

ويرى " سكنر " أن اللغة عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحاولة والخطأ، ويتم تدعيمها عن طريق المكافأة وتنطفئ إذا لم تقدم المكافأة، وفى حالة استخدام اللغة فإن المكافأة قد تكون أحد احتمالات عديدة، مثل التأييد الاجتماعي أو التقبل من الوالدين الآخرين للطفل، عندما يقدم منطوقات معينة خصوصاً في المراحل المبكرة من الارتقاء، وقامت هذه المدرسة بتفسير السلوك اللغوي تفسيراً آلياً اعتماداً على مصطلحات المثير والاستجابة المشتملة في عملية الكلام .

ولأن المدرسة السلوكية ترى أن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة (Imitation) الترابط والاقتران (Association)الاشتراط (Conditioning) التكرار (Repetition) التدعيم أو التعزيز (reinforcement) يتضح ذلك جلياً في رأى سكنر في تعلم اللغة، حيث أوضح أن معنى اللفظ يحدث من خلال الاقتران التكراري بين مثيرين كفيل بحدوث الاستجابة اللغوية بمعنى أن اللفظ ينشأ من عملية اقتران بين اللفظ والمثير الشيء الدال على هذا اللفظ، وهذا يعنى أن المثيرات اللفظية (أصوات كلامية (تقترن مع مثيرات شيئية اقتراناً منتظماً متكرراً .

وتؤمن المدرسة السلوكية بـ :

- أن اللغة مجموعة من العادات يتعلمها الأطفال بالتقليد والتكرار .
- أن اللغة نظام منطوق قبل أن يكون مكتوباً .
- أن البيئة تلعب دوراً أساسياً في نمو اللغة .
- إن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة، الترابط، الاشتراط، التكرار، والتدعيم .
- أن اللغة سلوك، والسلوك يمكن تعلمه باستثارة الأطفال لهذا السلوك.

وعلى رغم من وجود عدة فروض تحت النزعة السلوكية وعلاقتها باكتساب اللغة، فإنها جميعا تشترك في أمر واحد، وهو التركيز على السلوك اللغوي الظاهر وقياسه والابتعاد عن تفسير العمليات العقلية الذهنية. كما أكد هـ. دوجلاس براون في كتابه قائلا " لقد قام السلوكيون

بمحاولات أخرى لفهم اكتساب اللغة الأولى في إطار الفكر السلوكي لكنهم جميعا وقفوا عاجزين في تفسير الصفة الإبداعية في اللغة ولا يستطيعون أن يذهب إلى أبعد من ذلك.

٣. تعليم اللغة وفق النظرية السلوكية

يعد سكنر أول من طبق مبادئ علم النفس في مجال التعليم، ومن مبادئها –كما كتبه د.زيد سليمان ود. فؤاد الحوامدة في كتابهما "تصميم التدريس بين النظرية والتطبيق"- هي كما يلي :

أ. يجب أن يتحدد التعليم في خطوات أو مثيرات جزئية وقابلة للملاحظة

ب. يجب أن يتطلب التعلم استجابة ملاحظة من قبل المتعلم

ج. يجب أن يزود التعليم تعزيزا فوريا لاستجابة المتعلم

د. يجب أن ترافق استجابة المتعلم تغذية راجعة فورية توضح له مدى صحة استجابة

ه. يجب أن يعتمد التعليم على سرعة المتعلم في التعلم (قدراته واستعداداته....)

ج. النظرية التوليدية التحويلية

١. نشأتها

يطلق على هذه النظرية في العالم العربي تسميات متعددة؛ كنظرية تحليل المعلومات، النظرية العقلية النفسية، النظرية التوليديَّة التحويلية، وكل هذه المسميات تدور فيما أسماها تشومسكي القدرة اللغوية **Competence**؛ أي: تلك القدرة والفطرة التي منحها الله سبحانه للإنسان فاستطاع بها توليد عدد غير محصور من العبارات والتراكيب اللغوية.

يعتقد أصحاب المذهب السلوكي بأن اكتساب اللغة يتحقق عن طريق البيئة الاجتماعية، وأن عقل الطفل صفحة بيضاء نقية تستقبل ما يرد عليها من الصيغ والعبارات، وأن اللغة هي المخزن الذي يلجأ إليه الطفل عند الضرورة لكي يختار العبارات والكلمات، إلا أن النقلة النوعية والتطور الذي يحصل على اللغة على يد تشومسكي، كان مخالفاً لما تعارف عليه السلوكيون نحو اللغة.

ولذلك فإن تفسيرات أصحاب النظريات السلوكية لكيفية اكتساب اللغة الثانية، وعدم دقتها ووضوحها، قاد الباحثين إلى إيجاد أُنموذج بديل، حيث وجه الباحثون انتباههم صوب العوامل الفعلية التي تشكل التعلم. إنهم لم يذهبوا بعيداً، حيث شهدوا نقلةً في التفكير في مجال علم النفس واللغويات، فرأوا أن الطبيعة تشكل العوامل البيئية للتعلّم. وركّزوا انتباهم ليس على

الطبيعة فحسب وإنما على العوامل الفطرية التي تشكل التعلّم، وأطلق على هذه النظرية نظرية العقليين أو الفطريين. وركزوا على الطبيعة (Nature)أي كيف أن القدرات النظرية التي يملكها العقل البشري تشكل التعلم. وهذا الأُنموذج أطلق عليه النظرية الفطرية. وهذا يعني أن اللغة ليست سلوكاً يكتسب بالتعلم والتدرب والممارسة فحسب، كما يرى السلوكيون، بل هناك حقائق عقلية وراء كل فعل سلوكي، أي أن اللغة تعد تنظيماً عقلياً معقداً لأنها أداة تعبير وتفكير في آنٍ واحد.(Chomsky, 1981) .

٢. اتجاهاتها

من الواضح أن تشومسكي رائد هذه النظرية رفض النظرية التي أخرجها سكنر رفضا عنيفا، وأشارنا إلى أن البديل في اكتساب اللغة عند رؤيته هو الفرضية أو النظرية الفطرية. والمراد بهذا المصطلح هو أن اللغة ليست سلوكا يكتسب بالتعليم والمران والممارسة حسب، كما يعتقد السلوكيون وإنما هو فطرة عقلية.

سعت هذه النظرية إلى فهم النظام اللغوي للطفل، وكيف يعمل. لقد أكد تشومسكي وماكنيل وزملائهما أن لغة الطفل نظام لغوي صحيح في ذاته، وذلك أن عمله ليس الإقلال من التراكيب الخاطئة شيئا فشيئا، كما أن لغته لا يمكن أن توصف بأنها أكثر خطأ في مراحلها التالية، بل هي في كل حين لغة نظامية، لأن الطفل يكوّن –باستمرار- افتراضات بناء على ما يتلقاه من تعليمات ثم يختبر هذه الافتراضات عن طريق الكلام أو الفهم، ومع نموه يراجع هذه الافتراضات فيعدلها أو يعدل عنها.

لقد أجري بحوثا كثيرا من قبل ماكنيل ومعاصرون عن الطبيعة النظامية لاكتساب اللغة عند الطفل مستندة إلى الدراسة التجريبية مثل السلوكيين، لكن المعالجة كانت هجرانا كاملا للمنهج السلوكي . على سبيل المثال جين بركو الذي أجرت اختبارا بأن قدمت كلمة لا معنى لها فوجدت أن الأطفال في الرابعة يصوغون من هذه الكلمة جمعا وضمائر أو صيغا زمنية مختلفة. وتوالت منذ ذلك الحين أبحاثا كثيرة في الإيطار التوليدي كشفت عن مئات من القواعد. وهذه يتفق تماما بما رأى تشومسكي إلى اكتساب اللغة في هذه النظرية أي أنه يرى أن الطفل الذي ينشأ في بيئة لغوية معينة يكتسب المعرفة اللغوية بالفطرة من غير حاجة إلى تعلم قواعد لغته بصورة نظرية مباشرة.

والحق أن الاتجاه الفطري في لغة الطفل أضاف شيئين في غاية الأهمية:

١. التحرر من قيود المنهج العلمي سعيا وراء االستكشاف البني العميقة المجردةفي لغة الطفل، أي البني التي لا تظهر للرؤية ولا تخضع للملاحظة

٢. وصف لغة الطفل باعتبارها لغة شرعية، لغة تحكمها القاعدة ذات نسق مطرد.

٣. النظريو التحويلية التوليدية والنجو التوليدي التحويلي

تأثر تشومكي في هذه النظرية بالدراسة البنيوية ، حيث أنه تلميذ لزيلينج هاريس الذي هو تلميذ لبلومفيلد منشئ اللغويات التوزيعية في أمريكا فمن هنا ظهر ما يسمى بالنحو التوليدي. فالنحو التوليدي يتمثل في تحليل العمليات المنطقة العقلية في البنية العميقة وصولا إلى البنية السطحية. دراسة الجملة في ضوء القواعد التوليدية لا تتوقف عند إدراكنا لما يجري في الذهن فحسب، وإنما لابد لنا من التمتع بجانب حدسي يمكننا من إدراك العمليات الذهنية بالإضافة إلى أخذ الأصوات والمباني الصرفية والنحوية في الحسبان.

فالتحويل له قوانين، هي

١. قانون إجباري : أي إنه لابد من تطبيقه على كل جملة في اللغة لتصبح جملة صحيحة نحويا، وهو ما يعرف في النحوي العربي ب(الواجب)

٢. قانون اختياري : فهذا يعني أنه يجوز تطبيقه وهو ما يعرف في النحو العربي ب(جائز)ز

د. النظرية البنيوية / البنائية

١. نشأتها

جاءت ثلة من النظريات الحديثة، وعلى رأسها النظرية البنائية . إن جذور البنائية –حسب بعض الدارسين تعود إلى عصور قديمة جدا، فقد تبناها كل من أفلاطون وأرسطو (٣٢٠ – ٤٧٠ ق.م). لكن بدأت النظرية البنائية كنظرية فلسفية في بناء المعرفة بصفة عامة، ثم امتدت مبادئها إلى مجال التعليم والتعلم، ويرى كثير من التربويين أن البنيوية تكونت نتيجة لجهود عدد من العلماء والفلاسفة كانت أفكارهم امتداداً للنظرية البنيوية فيما بعد، ومنهم:

- الفيلسوف الايطالي جيامبتسافيكو عام ١٧١٠م، وأطروحته عن بناء المعرفة، حيث يرى أن العقل البشري يبني المعرفة فلا يعرف العقل إلا مايبنيه بنفسه.

- مساهمات أنصار المذهب النقدي أمثال كانت حيث يرون أن العقل البشري ينشئ المعرفة وفقاً لتصوراته.
- جهود المذهب الداروني ومنهم بييرموري وروبرت تشمبرز وتشارلز داروين، حيث أوضحوا أن فكرة المواءمة بين الكائن الحي والبنية تمثل أساساً للتكيف
- مساهمات أصحاب المذهب البراجماتي وعلى رأسهم جون ديوي، والذي يرى أن المعرفة آلة وظيفية في خدمة مطالب الحياة، وأنها تنمو وتتطور من خلال اكتساب مزيد من الخيرات
- أعمال ومساهمات جان بياجيه، وهو الذي قدم للبنائية أهم أفكارها حول كيفية اكتساب المعرفة، ويعد بياجيه واضع اللبنات الأولى للنظرية البنيوية.

٢. اتجاهاتها

المعجم الدولي للتربية عرف البنيوية بأنها "رؤية في نظرية التعلم ونمو الطفل قوامها أن الطفل يكون نشطاً في بناء أنماط التفكير لديه نتيجة تفاعل قدراته الفطرية مع الخبرة". وتعرفها جامعة مدرسة التربية بجامعة كولورادو بانها: "فلسفة التعلم القائمة على الافتراض القائل بأننا نبني فهمنا للعالم الذي نعيش فيه بالاعتماد على خبراتنا".

وعرفتها نادية بكار بأنها: "نظرية تقوم على توجيه المعلمين المتعلمين على اكتساب المعرفة بيسر عن طريق طرح أسئلة ذات قيمة عالية ينظر المتعلمون إليها كمفكرين، تؤدي إلل الاكتشاف وبناء خطوات العمل، وتعميق معاني المفاهيم، واستخدام التقويم الأصيل، كما إنها تنبذ المعرفة التي تكتسب بالنقل المباشر من المعلم إلى المتعلم كالتلقين"

ورغم وجود التفاوت بين منظري البنيوية في تعريفاتهم إلا أنها تتفق على أمرين هما:

١) أن المتعلم يكون معرفته بنفسه مستخدما معلوماته الحالية وخبراته السابقة، مما يؤكد على أهمية الخبرات السابقة كأساس للتعلم عن طريق النظرية البنيوية

٢) إن الفرد يبني معرفته بنفسه بحيث لا يستقبلها من الآخرين مباشرة بطريقة سلبية، ولكن يمكن أن يتعاون معهم لبناء هذه المعرفة مستخدما وموظفا لأساليب الملاحظة، والاكتشاف والتجريب والعديد من المهارات والقدرات العقلية

ومن أهم مفاهيم النظرية البنائية عند باجيه :

- التكيف : قدرة الإنسان على التكيف مع خبرة ما، والتلاؤم معها ويضم هذا المفهوم عنصرين هما: التمثيل والمواءمة
- التمثيل : هو العنصر الأول للتكيف، بمعنى: تلاؤم المثيرات الخاريجية مع التراكيب العقلية الداخلية للفرد
- المواءمة : التضمين وهو العنصر الثاني لعملية التكيف وعكس التمثيل، فالفرد في هذه الحالة يغير نفسه لتتكيف مع العالم الخارجي
- التوازن : التفاعل بين الفرد والبيئة
- التنظيم : اتجاه فطري يقوم بربط الصور بشكل أكثر كفاءة.

إذًا التعلم واكتساب اللغة حسب هذه النظرية بناء وإبداع مستمر.

٣. تعليم اللغة وفق النظرية البنيوية

بصفة عامة، فإن مبادئ التصميمالتدريسي وفق النظرية البنائية يمكن أن يتضمن :

أ. توفير خبرة لعملية بناء المعرفة

ب. توفير خبرة من منظورات متعددة القيمة

ج. جعل التعلم في سياق واقعي

د. التشجسع على التملك والتلفظ في عملية التعلم

ه. جعل التعلم في خبرة مجتمعة أو سياق اجتماعي

و. التشجيع على استخدام أشكال مختلفة م التمثيل

ز. التشجيع على الوعي الذاتي بعملية بناء المعرفة

هـ. الخاتمة

في نهاية المطاف، قد تعددت النظريات التي استنتجها العديد من علماء اللغة وحتى علماء النفس من تجاربهم المتنوعة منذ حقب بعيدة. وكل نظرية تتميز بميزاتها الخصة بها، وذلك سعيا إلى تيسير معلمي اللغة –خاصة معلمي لغة كاللغة الثانية- لإعداد الجو الصفي الذي يناسب المتعلمين وأيضا تيسير المتعلمين للاستلهام من هذه النظرية في اكتساب وتطوير لغتهم. فليس هناك التردد في القول أن هذه النظريات أمر لابد للراغبين في تعلم اللغة معرفتها بشكل جيد،كي تحقق ما تتمناه من دراسة اللغة.

المراجع

هـ. دوجلاس براون. **أسس تعلم اللغة وتعليمها**. عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان (مترجم) . بيروت : دار النهضة العربية

عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. (١٤٢٠هـ). **النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية**. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

زيد سليمان العدوان ومحمد فؤاد الحوامدة. (٢٠١١). **تصميم التدريس بين النظرية والتطبيق**. عمان : دار الميسرة للنشر والطباعة

منيف خضير الصوي. (١٤٣٤هـ) . **النظرية البنائية وتطبيقها في تدريس اللغة العربية**. الرياض : فهرسات مكتبة الملك الفهد الوطنية

عبد المجيد عيساني. (٢٠١١). **نظريات التعلم وتطبيقاتها في علوم اللغة اكتساب المهارات اللغوية الأساسية**. القاهرة : دار الكتاب الحديث

وجيه مورسي أبولبن . (٢٠١٢) . نظريات اكتساب اللغة وتعلمها . **الموقع التربوي للدكتور وجيه المرسي أبولبن** . ١٠٣١. استرجع من http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts/402215 بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٧

هاجر الملاحي . (٢٠١٦) . نظرية اكتساب اللغة وتعلمها. **الأوكة.** استرجع من http://www.alukah.net/literature_language/0/108179/ بتاريخ بتاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٧